

## من آيات الله تعالى في الكون "الماء في جوف الأرض"

محمد نزيه الصمغوني

جاءت إشارات في الذكر الحكيم بشأن الماء في جوف الأرض لتأخذ بحواس الإنسان ولبه إلى عظمة إبداع الله عز وجل في شأن هذا الماء، وذلك عندما يتجول الإنسان بفكره وحواسه مع الماء في جوف الأرض وهي تفضيه إلى أحشائها بين ذرات ترابها ثم بهاود الخروج مرة أخرى، وأذكر إشارتين في هذا الشأن من القرآن الكريم:

الأولى: قول الله تبارك وتعالى: «وَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَ سُبُلَهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتُرَاهُ مَصْفًرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ سَبَاطًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلْبَابِ» (١).

الإشارة الثانية: قول الله تبارك وتعالى: «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا» (٢).

والإشارتان توضحان حقائق جمة أشير إلى بعضها:

الحقيقة الأولى: أن الماء الذي تحت طبقات الأرض يختلف أنواعه وأماكنه ومقداره هو ماء نازل من السماء مثله في ذلك مثل الماء الموجود على سطح الأرض، سواء المحيطات أم البحار أم الأنهار أم البحيرات أم غير ذلك.

(١) سورة الزمر الآية ٢١

(٢) سورة النازعات الآيتان ٣٠، ٣١

وسواء أكان هذا الإنزال في بداية الخليقة أم بعده إلى ما شاء الله تعالى ، ونلاحظ ذلك في آيات من الذكر الحكيم كثيرة وهي تذكّر لإنزال الله عز وجل الماء من السماء بصفة عامة منها قوله تبارك وتعالى : وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أضراسنا من نبات شئ (١)

وقوله تعالى : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة (٢) وقوله تعالى : ورسلنا للرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء (٣)

وقوله تعالى : وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض (٤) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تتجاوز الثماني والعشرين وآيها تذكّر نزول الماء من السماء .

وذهب المفسرون والعلماء المتخصصون لدراسة طبقات الأرض ذهب كل منهما إلى التأكيد على حقيقة أن الماء الذي في جوف الأرض هو ماء أصلا من السماء .

قال الإمام ابن كثير حول معنى آية الزمر ( يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء ... فإذا نزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه الله تعالى إلى أجزاء الأرض كما يشاء ويلعبه حيونا ما بين صغار وكبار حسب الحاجة إليها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من

(١) سورة طه الآية ٥٣

(٢) سورة الحج من الآية ٦٣

(٣) سورة الحجر آية ٢٢

(٤) سورة المؤمنون آية ١٨

السما والكن عروق الأرض تغيره . . وكذا قال سعيد بن جبير وعمر  
الشعبي : أن كل ماء في الأرض فاصله من السماء . (١)

وقال الرخشي ( أن كل ماء في الأرض فهو من السماء ) (٢) وحقيقة  
ماء الأرض نازل من السماء رغم بيان القرآن الكريم لها منذ أكثر من  
أربعة عشر قرناً إلا أن العلماء المتخصصين في هذا المجال لم يكتشفوها إلا  
منذ زمن غير بعيد وبعد نزول القرآن الكريم بمئات من السنين ، وعند  
دراستهم لأي منطقة صحراوية في أنحاء الأرض ، فإنهم يابحاثهم يجدون  
شبهاً كبيراً بين الماء النازل من السماء وهو يجري في الأنهار وغيرها وبين  
الماء الخارج من الأرض ، ولهم أبحاث كثيرة تثبت أن الماء في جوف  
الأرض هو في حقيقة ماء نازل من السماء والمطر هو مصدره الوحيد  
لنظائرات المياه الأرض في الصحراء الشرقية بمصر مثلاً (أسفرت الدراسات  
الامتصاصية عن وجود أكثر من ٣٠٠ بئراً وينبعها للياه العذبة الصالحة  
للشرب أو الاستخدام الصناعي ، وتعتبر الأمطار المصدر الوحيد للمياه الجوفية  
في المنطقة سواء في الطبقات الرسوبية القريبة من السطح أو في التراكيب  
الجبلية العميقة ) (٣) وكذلك مصدر التغذية للياه الجوفية في منطقة  
كافيم الساحل الشمالي بمصر وهذه المنطقة ( تمتد من الاسكندرية شرقاً  
حتى السلوم غرباً بطول ٤٨٠ كم وبعرض ٣٥ كم بمساحة تصل إلى ١٢٥٠٠ كم<sup>٢</sup>  
والمصدر الرئيسي للماء في هذه المنطقة هو الأمطار ) (٤) وهكذا في كل  
بقاع العالم حيث يوجد ماء في جوف الأرض لمصدره الوحيد هو الماء  
النازل من السماء كما ذكرته الآيات القرآنية .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٨٣ طبعة الشعب

(٢) الكشاف ج ٤ ص ٢٢٠

(٣) د محمد فتحي حوض الله : الماء ص ٢٤١

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٩ : ٢٤٠ (بصرف)

وقد يكون للمياه الجوفية بعض المصادر الأخرى مثل تسرب بعض ماء البحار والأنهار وغيرها إلى جوف الأرض لكن جميعها يرجع إلى المصدر الأول وهو الماء النازل من السماء .

الحقيقة الثانية : كما أن الله تبارك وتعالى أودع سنا وقوانين في الماء عند تكوينه في طبقات الجو وكذا عند نزوله ، كذلك يث من السنين والصرايط في جوف الأرض ما يمكن الماء من السير في رحابها ، تختلف باختلاف طبقات الأرض ونوعيتها وأما كن تجمع هذا الماء ، وأما كن خروجه ، والعوامل المساعدة على ذلك التي سخرها الخلاق اللطيف وقوانين نزول الماء إلى الأرض وتوزيعها له وسريانه بين طبقاتها المتنوعة وخروجه منها بأنواعه المختلفة ، وأما كن خروجه وكنيته وكيفيته كل ذلك مقدر عند الله تبارك وتعالى ومحسوب بدقة متناهية ولا تخفى عنه القوانين التي وضعها الله تعالى للماء وهو في جوف الأرض أو للأرض وهي تحتضن الماء بين أحشائها ، وهذه القوانين وتلك لا تقل تمقيدا وإعجازا عن ماء الأنهار والبحار على سطح الأرض إذا هي أيضا مياه جارية متحركة . . وتحركاتها تكون من المرتفعات إلى المنخفضات ، ومن حيث مصدرها إلى المصب متمشية مع ميل الطبقات الأرضية إلى حيث تظهر من جديد بأشكال قد تكون رشحا حاديا أو نزارات أو ينابيع وهيون أو آبار عادية أو ارتوازية ، أو ظهور على السطح من خلال الفوائق الأرضية والكسور ، أو بخرا نباتيا وفي النهاية إلى البحر ، ولقد وجد أن تحركات المياه الجوفية في المناطق الجبلية تكون بمعدل أسرع منها في المناطق المستوية ، متوقفة بالطبع وفي الحالتين على درجة مسامية الصخر الذي إياه تعب (١)

وقد أجريت دراسات ميدانية لبيان معدل سرعة المياه الجوفية وكانت النتيجة ( أن وجد معدل السرعة الذي تتحرك به تلك المياه ، قد يكون كبيراً جداً ودرجة تبلغ أربعمائة وعشرين قدماً في اليوم الواحد ، وقد يكون أيضاً في أبعاً درجاته بحيث تصل أدنى السرعة إلى قدم واحد لكل عشرة من السنين . أما ما بين هاتين النهايتين من معدل سرعة المياه الجوفية فلقد وجد متوسطه من خمسة أقدام في اليوم الواحد إلى خمسة أقدام في السنة الواحدة (١)

هذه إشارة فقط عن حركة الماء في جوف الأرض . ويوجد للماء في جوف الأرض تأثير فعال في أمور كثيرة منها دوره في تشكيل سطح الأرض وتطويبه للمعادن وغير ذلك كثير مما يؤثر كما ذكرناه في بداية هذه الحقيقة وهي أن الماء في جوف الأرض لهي مغاير المظنة لبداهة الله تعالى منه على الأرض .

الحقيقة الثالثة : إذا كان الماء من سنين وقوانين يتكون بها ويترسب ويسرى في جوف الأرض ، كذلك له من السن والقوانين ما يخرج بها من جوف الأرض ، ويستمر في دورة دائمة ، ليس ما بين السماء وسطح الأرض بل الدورة قائمة كذلك ما بين طبقات الأرض وظلماتها العميقة إلى طبقات الجو العليا المضيئة ، ومن السن التي أودعها الخلاق العظيم لخروج الماء من جوف الأرض وتدفقه :

١ - اختلاف درجات الحرارة .

٢ - الضغط الهيدروستاتيكي (٢) الواقع على طبقات التدفق

(١) المرجع السابق ٢٢١ ( يقتصر )

(٢) الهيدروستاتيكا : فرع من علم الميكانيكا وأهم ما يتناول ضغط

السوائل وقوانينها .

٣ - الضغط الناتج من الغازات حبيسة طبقات الأرض الغير مسامية والمغلقة لطبقات التجميع .

٤ - الضغط الناتج من غازات تجمعت بمرور الوقت أثر بعض التفاعلات الكيميائية التي تتم في باطن الأرض (١) .

وذكر العلماء معدلات لتدفق الماء من جوف الأرض ، فنه البتلى . ومنه السريع القوى ، ومعلوم أن الشايع والآبار كل منهما يختلف من ينبوع لآخر ومن بحر لآخر ، من حيث المكان والزمان ، ودرجة الحرارة ، ومن حيث القوة والضغط ، والكمية والكيفية ، والملوحة والعذوبة ، كل ذلك وفق لإرادة الخالق العظيم جل جلاله . وللماء في جوف الأرض حين يخرج للناس على سطح الأرض يكشف لهم ويعلم من جزء من الأسرار العميقة في باطن الأرض ما كان لهم معرفتها إلا بخروج الماء لهم فيعلم الناس السنن والقوانين التي مري بها في باطن الأرض ، وطريق ذهابه وطريق إياها . وكيف تعامل مع كل طبقة من طبقات الأرض سري فيها ، وكل نوع من أنواع المياه الجوفية يقص بلسان حاله عن بعض إعجاز الله تبارك وتعالى في المناطات السحيقة المظلمة المطبقة ورحلته العاريلة ، وكيف كان قبل نزوله إلى الأرض ؟ وكيف نزل إليها ؟ وقانون تشرب الأرض له باختلاف أنواعها وأين ذهب في مسارب الأرض وضروبها ؟ ولماذا خرج في هذا المكان بالذات وهذا الوقت ؟ ولماذا كان قويا أو ضعيفا أو غير ذلك ؟ وما هي العوامل التي ساعدت على خروجه والإضافات التي اكتسبها واصطحبها معه ؟ وكل عدد أنواع المعادن في جوف الأرض ؟ وما كمية كل نوع ؟ وكل نوع من أنواع المياه الجوفية يصحى قصه لبني الإنسان عساه يتدبر ويرى إعجاز الله تبارك وتعالى في هذا الماء

وقد (تم تحليل المياه المتدفقة من ١٧ بئر للبترول لتحديد إمكانية استخدام هذه المياه الجوفية المصاحبة للبترول الخام كمنبع لبعض العناصر الكيميائية والأملاح الأساسية في صناعة الأدوية والمخصبات الزراعية والزجاج كعناصر البروم واليود والبورون وأملاح البوتاسيوم والمغنسيوم والصوديوم) (١) إلى غير ذلك مما ينفع الناس فضلا من الله تعالى ونعمة . ولعل هذا يأخذ بأولى الأبواب إلى ساحة الإيمان بالله تعالى والعمل وفق منهجه المنزل على سيدنا رسول الله محمد ﷺ .

الحقيقة الرابعة : هناك أشياء كثيرة وتكاد تكون عامة يفقدها الإنسان ولا يستطيع لها رداً مهما استخدم حيلته المختلفة ، ويعجز تماماً حيال عودتها مرة ثانية . لكن إذا هجر الناس قرب الناس وحدهم القادر على إرجاع ما قد يفقده الإنسان قد ضاع . وتتمثل هذه الحقيقة جلية في الماء . فإذا نزل الماء من السماء وتسرب في متاهات الأرض وامتنعته امتصاصاً ، وفار بين دروبها المغالبة العميقة ، وأطبقت عليه بسواصدها الصلبة فلم يبق شيء ، إذ لا يضيع شيء من خلق الله في ملك الله تعالى ، فهو سبحانه يبدئ مقاليد السموات والأرض ومالك ما فيها وما بينهما .

وقد أبان الله سبحانه الإنسان صورة من صورة هذا الضائع — في خلق الإنسان — وصحيح أن الماء النازل من السماء تسرى بعض بين حبيبات الأرض المختلفة من طينة ورملية وصخرية وحلالية وزلالية وخلاف من أنواع التربة التي تسرى وتتشربه ولا يكاد يظهر للعين المجردة في بعض أنواع التربة ، وهو يعيش بين أحضانها مدداً متفاوتة قد تمتد بالآلاف السنين ، وهو يضيف إليها وتضيف إليه ويحدث بينهما تفاعل بل وتعاون بين

(١) جريدة الأهرام العدد ١٣٤٨٦٩ : ٩ شعبان سنة ١٤٠٢ هـ —

قوانين الأرض وقوانين السماء . إلا أنه في النهاية يعود الظهور على سطح الأرض في صور شتى . وعلى مقدار مكثته في الأرض ونوعية التربة التي كانت مسرحاً له من حيث النوع والكيف وغير ذلك من السفن المتعددة التي لم يعرف الناس عنها إلا القليل تكون نوعية السماء الخارج من الأرض . والناس في كل مكان يختلفون في عقولهم وثقافتهم برون خروج الماء من الأرض على هيئة آبار وعيون أو ينابيع أو غير ذلك ، ويستخدم هذا الماء في مجالات شتى فنه ما يحيل أجزاء الأرض من صحراء جرداء قاحلة إلى جنة فيحاء ملبس أبهى ثيابها من السندس الأخضر ، فتقر العين ، ويسعد الحنيط ، فيسقون ذروعهم وحيواناتهم ولا يشربونه للإحياء والارتواء بحسب بل لعلاج أفتك الأمراض .

وقد قسم العلماء الماء الجوفي إلى عدة أنواع ولكل فائدته منها حل سبيل المثال :

١ - المياه القلوية : وهذه تعطي في حالات زيادة حموضة المعدة وأمتلئها مياه قشنة وسكنز وغيرهما ، وكلها تقلل من الحموضة وتقدر البول وتفيد الكبد .

٢ - المياه المليئة : وهي تشرب لتقوى حركه الأمعاء الخاملة وتساعد على طرد محتوياتها من بقايا الاذوية وتفيد في حالة الإمساك والاضطرابات الكبدية .

٣ - المياه للمسكة . . . وتستخدم في حالات الإمساك والمخض . . (١) إلى غير ذلك كثير .

وكأن العيون النابتة من الأرض تختلف في أماكن وجودها وقيمتها تختلف في درجة حرارتها .

(١) د. عبد العزيز شرف : للماء غذاء ودواء ص ٣١ ، ٣٢



في بريطانيا توجد عين باتشون ( ٨٢ درجة لهرنيت . . وفي فرنسا  
توجد عين لاكي لا بان ( ٨٦ : ١٢٠ درجة . . وفي ألمانيا توجد عين في  
رايلد باد ( ٩١ : ١٠٤ درجة ) .

وفي إيطاليا توجد عين في لوكا ( ١٠٠ : ١٢٩ درجة . . وفي سويسرا  
عين في راجاتز ٩٦ درجة وفي جمهورية مصر العربية حمامات حلوان  
الساخنة حوالي ٩٠ درجة (١) وهكذا .

وقد تستخدم هذه المياه من الخارج في الأمراض الجلدية ورموماترم  
المفاصل وعرق النساء واللباسجر واضطرابات الحوض في النساء وفي  
الاضطرابات العصبية إلى غير ذلك من الأمراض سواء منها الداخلية أم  
الخارجية .

وهنا يجب أن نعلم أن أفضل ماء خارج من الأرض على وجه الإطلاق  
هو ماء زمزم في الأراضي المقدسة وللتدليل على ذلك يمكن أن نشير إلى  
بعض أحاديث رسول الله ﷺ التي وردت فيه .

في حديث طويل عن أم اسماعيل عندما نفذ منها الطعام والشراب  
ولسماعيل عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام صغيرا ( . . فلما أشرفت  
على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسبعت ، فسمعت أيضا  
فقات قد أسبعت إن كان عندك غرات . فإذا هي بالملك عند موضع زمزم  
فبعث بعقبه أو قال بمناسحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها  
هكذا ، وجعلت تفرغ من الماء في سقايتها وهو يفور بعد ما تفرغ .

قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ يرحم الله أم اسماعيل لو تركت

(١) المرجع السابق ص ٢٤

زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا . (١) . تلك كانت بداية ماء زمزم .

وعن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال خرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فخرج صدري ثم غسله بماء زمزم . . . (٢) .

وعن أبي جرة الضبي قالت كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذني الحصى فقال أبرد بها عنك بماء زمزم فإن رسول الله ﷺ قال الحصى من نهي جهنم فأبرد بها بالماء أو قال بماء زمزم شك همام . (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : ماء زمزم لما شرب له . (٤) . وهكذا تدرك قبعة ماء زمزم ، فن الذي أشار إلى موضعه ؟ . ومن هو أول من شرب منه ؟ ومن الذي غسل منه صدره ؟ وماذا قال ﷺ في ماء ؟ نسأل الله تعالى أن يسقينا من زمزم .

هذه بعض توصيات من الماء الخارج من الأرض وهذه إشارة فقط عنه ، وهذه المياه الخارجة من الأرض قد ظن الناس أن ماء السماء غار في الأرض وأن يعود ، وهم لا يرون خروجه لحسب بل رأوه يخرج إليهم لإحيائهم واستشفائهم من العلل والأمراض وكذا الحياة زرعهم وأنعامهم ،

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس كتاب الأضياء ص ١٧٣ ، ١٧٤ ط الشعب

(٢) أخرجه البخاري في كتاب باب كيف فرضت الصلاة في الإسماء ص ١٥ ، ٩٢

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ص ٤٦ ، ١٤٦ ، ١٤٧

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب الشرب من زمزم ص ٢٠ ، ١٠١٨ عن جابر

وهنا تظهر رحمة الله تبارك وتعالى مخلقه في هذه المياه الجوفية ، فلو عزل  
الماء في باطن الأرض وعماود العمود مما كانوا زليلا ، ف كانت هناك  
حسنة وحاشا لله رب العالمين أن يخلق شيئا ولا يكون له حكم بالعه .  
وهكذا لا يصبح شيء من مدد الله تعالى في مدد الله تبارك وتعالى .

الحقيقة الخفية ، أن من زوب الماء وجريانه أنهارا أو سورا  
يبيع في الأرض كلها تمضي بقدرته الله عز وجل ، والناس كل الناس  
لا يملكون من أمرها شيء ، فهم لا يستطيعون إيقافه من هذه السن  
أو حتى بعد ذلك وحده ، لأن الله وحده هو مالك الملك وهو الخالق  
لكل شيء . كذلك أيضا خروج المياه من جوف الأرض لا يملك الإنسان  
من أمرها قطلا ولا كغيرها . قال تبارك وتعالى : قل أرأيتم إن أصبح  
حاكم عورا فمن يأتيكم بماء معين (١) .

وقد حدث أن علماء من أصحاب الجنتين قد استطاع له طلق قال تعالى  
: .. أو يصبح ماء عور . قل تستطيع له جلبا (٢) .

والصحراء في العام كثيرة يعرفها السمن وقد لا يستطيعون رراعتها  
وحجبتهم أن الماء من أبعاد سحرة في جوف الأرض ولا يستطيعون  
استحراجه . وهذا دليل على كمال قدرة الله تبارك وتعالى ووجود نيته وحكمته .  
ولذلك جاء في الذكر الحكيم أن الله تعالى حين خروج الماء من الأرض  
مجرة لبعض الأبيد واستخدموها في الدعوة إلى الله تعالى يقول الله  
تبارك وتعالى : وإذ استلقى موسى لغومه منك اضرب بمصاك الحجر  
فأفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل إنسان مشربهم كانوا وشرابا من  
وردى الله ولا تشوا في الأرض مصدين (٣) .

(١) سورة الملك الآية ٣٠

(٢) سورة النجم آية ٤١

(٣) سورة البقرة الآية ٦٠

وعندما نعت البشر كيون لدعوة سيدنا محمد ﷺ كان من هذا النعت أن طلبوا منه أن يصبر هم من الأرض ينبوعا قال تعالى: وقالوا لن يؤمن لك حتى تفلج لنا من الأرض ينبوعا، (١) وقد حذر الله صاخ عليه السلام قومه من الإشتراك بالله والفساد في الأرض، وعليهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ومنه العيون قال تعالى: أنتركون ما همنا آمنين، في جنات وعيون، (٢).

وقال مرد طلبة السلام لقومه: فأنقروا الله وأطيعوا، وأنقروا الله.. أمكم بما تعالون أمكم بأنعام ودين، وجنات وعيون، (٣)، فليست مدادهم بالعيون إلى الله تبارك وتعالى.

وتعالى تبارك وتعالى على صاحبه بهمه ويسبب تفجير العيون إلى قدرته وحده وحكمته وعده فنقول تعالى: وآية لهم الأرض التي أحييناها وأخرجنا منها حب لينة يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وجرفنا فيها من العيون، (٤)، وههنا كانت العيون النابعة من جوف الأرض بقدرته الله تعالى وحده وحكمته ورحمته، والانس يفتنون حياتها لا حول لهم ولا قوة وهم يرونها ويسمعونها وإذا الناس لم يؤمنوا بالله الواحد سبحانه الله تعالى هذه السعة ولا يستأخرون لها ملأها.

وإذا كان الله تبارك وتعالى هو وحده القادر على إخراج الماء من الأرض وجعله ذو منافع متعددة لعباده إلا أنه هو وحده أيضا القادر على تغيير صورة إخراج الماء من الأرض فبعد إخراج الماء من الأرض لا للحياة والحياة بين التدمير والهلاك، وهو سبحانه المتصرف في عباده كيف يشاء.

(١) سورة الإسراء الآية ٩٠

(٢) سورة الشعراء الآيتين ١٤٦، ١٤٧

(٣) سورة الشعراء الآيات ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤

(٤) مجلة المعرفة ٧٣ ص ١٢٥٤

والناس في حالة تدفق العيون من جوف الأرض وهي تقدمهم بالختم لا يملكون حولاً ولا قوة ، ويرى الله سبحانه وتعالى - من حين إلى حين - في أماكن مختلفة راكبين مدمرة تهلك الحرث والقتل : فتسلا في عام ١٩٠٣ ثار زلزال كبير في سان بيير على البحر الكاريبي واندفع المنبع الساخن من جانب الجبل كأه قذيفة مدفع صدم ، وأسابت سحب متأرجحة من العازات هي سموح الجبل بسرعة ١٦٠ كبير مترا في الساعة ، وفي ثوان معدودة ، كان معظم سكان سان بيير قد لقوا حتفهم إما حرقاً وإما لإحتناقا .

لما لم يبق في الأرض سوى أوحترقت وبلغ عدد القتلى ١٤٠/١٠٠ ، ولم تنج السمن الزاسية في ليندا من الكارثة ، هي إما لإحترقت أو هزفت بعض الأمواج العنيفة التي أثارها ، مياه البحر التي بلغت درجة الغليان (١) .

وهكذا ، في خروج الماء في الحالين :

( أ ) في حالة خروج الماء من الأرض الحية ولنحير

( ب ) في حالة خروج الماء من جوف الأرض وهو يعمل للندى والملاك ، فهو في الحالتين يخرج بقوة الله تعالى وحده وحكمته ووفق مشيئته . وهذا دليل الاختيار والاختصاص والقوة والحكمة وبنى القول بالطبيعة والمقدرة أو أي آلهة أخرى ما يتسمها الحق من العدم .

الحقيقة السادسة : أن هناك تماثلاً عجباً بين المخبوقات أمدته القدرة الإلهية وأسماء في جوف الأرض يتناسق مع ما هي عليها .

فإذا كانت الصخرة كبيرة وعظمها الله تعالى من تزيان الأتاهر حلالها ، فإن الله تعالى قدر له كمية من أسماء الجوف يتناسب مع حجمها ، يبرز

تحتها ، وتخرج هذه المياه وهي إرادة الله تعالى ومشيئته وحكمته وعده .

ومن لطف الله تعالى ورحمته أن جعل كثير هذه المياه قريبة من سطح الأرض وما كان بعداً عن السطح قد يستجرها الإنسان مع تقدم صومه وأجهزته التي ذهبها الله تعالى رياه ، ومن صور التناسق كذلك أن ليثته الصحارى ثغافات مدمجة تسطع الحياة مع جفاف تربتها ، بأن حدودها موزلة ظاهرة إلى مسافات بعيدة في الأرض حتى تستطيع مستحاصل هذه اللازم لها ، وأيضاً تكون أوراقتها سمكة تستطيع أن تحتجز أكبر قدر من الماء وتمسكه به أطول مدة ممكنة ، ومن هذه السمات ما هو دميد للغاية وخاصة من الناحية المائية .

وعلى العموم فإن النباتات فيها مراءمة لظروف البيئة تماماً ، ومثل مروامة البساتين والحدائق أيضاً التي تعيش في البيئة الصحراوية فهي عموم تتحمل الظما وأشعة الشمس الحارة وكثير منها يعيش في فجور ونخمت الصحور كالشعير والخرشوف .

وأهم حيوانات هذه الأقاليم الخن وهو حق سقفة الصحراء إذ أنه يستطيع أن يأكل الأشواك الصحراوية ويشرب الماء مع لسة ملوحة ويستطيع أن يعيش دون أن يأكل أو يشرب لمدة طويلة مستفيداً على ما يحتزنه في سنامه ، وهذا التناسق العجيب في تركيب البيئة وما فيها ومن عليها من رحمة الله وهديته مخلقه .

وإذا كان هذا تناسق في البيئة الواحدة فهو تناسق في الوقت نفسه تناسق وتعاون بين هذه البيئة وغيرها من البيئات الأخرى المختلفة بها حيث يتم التعاون والتعاون بين هذه وتلك إذ لكل بيئة نبات معين وكذا حيوان خاص وأيضاً نشاط بشري مختلف ، وفي ذلك عبرة للناس من أراد منهم أن يستبصر .

الحقيقة السابعة : وإذا كان خلق الله تبارك وتعالى متناسقا فإن الآيات  
القرآنية كذلك متناسقة في ذكرها لحقائق الوجود نجد ذلك كمالا في  
الآيتين التين سبق ذكرهما في بداية هذا المقال فآية الزمر ذكرت نزول  
الماء من السماء وسلوكه بتأثير في الأرض ، وآية النازعات ذكرت خروج  
الماء من الأرض وآية الزمر سابقة في ترتيب السور في المصحف وكذلك  
في ترتيب النزول عن آية النازعات ، فالذكر بنزول الماء ودخوله في  
الأرض أولا هذه حقيقة ، وخروج الماء من الأرض بعد نزوله إليها  
ودخوله فيها هذه حقيقة أخرى ، فشكل آية من هاتين الآيتين أشارت إلى  
حقيقة ، فلو نزل الماء من السماء ودخل في تخوم الأرض ولم يخرج منها فإن  
النهاية ستكون ضياع الماء في جوف الأرض ولو بعد حين من الزمان .

لكن الله تبارك وتعالى أراد للحياة أن تدوم وتستمر إلى أجل هو  
سبحانه وتعالى أعلم به ، فذكر في آية النازعات ، — التي اتخذناها كمثال —  
خروج الماء من الأرض ، وهذا من التناسق البديع والإنجاز للمعجز في  
الذكر الحكيم وبيان لوحدة الموضوع فيه رغم بعد المساحة والزمن بين  
آية الزمر وآية النازعات ، فسبحا أن التناسق قائم بين مخلوقات الله تعالى في  
كونه فهو كذلك قائم بين آيات الله تعالى في الذكر الحكيم وصدق الله  
العظيم ، أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه  
اختلافا كبيرا (١) .

الحقيقة الثامنة : وهي لا تقل أهمية عن الحقائق المذكورة سابقا ، بل  
لعل الآيات تقصدها بالذات وتهدف إليها وتلفت الأنظار والبصائر لها ،  
بصائر ذوي الفكر الثاقب والعقول الحسيفة والباحثين عن الحق بالحقائق

المقدر تكون لغرائب الأمور . هذه الحقيقة هي نهاية الحياة الدنيا وأنها حياة قصيرة وفانية ، وأن بعدها حياة أخرى فيها جنة وفار . فآية الزمر ينت قصر هذه الحياة بوضع ذلك قوله تعالى في الآية نفسها : ثم يخرج به ذرعا مختلفا ألوانه ، ( أى ثم يخرج بالماء النازل من السماء والتابع من الأرض ذرعا مختلفا ألوانه أى أشكاله وطعمه وروائح ومنافعه ) ثم يبيح أى بعد تناوله وشبابه يكتهل ، فقراء معتفرا ، قد خالطه اليأس ، ثم يجعله حظا ، أى ثم يعود يابسا .. إذن في ذلك لذكرى لأول الألباب ، أى الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تتكون خضرة حسناء ثم تعود بجودا شوهاء والشباب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من كان حاله بعدة إلى غير .. (١) فإذا كانت آية الزمر تقصد — من بين مقاصدها السامية — إلى تذكير الناس من طفولهم واستيقاظهم من رقادهم لبيان حقيقة الدنيا ، فإن آية النازعات تقصد — من بين مقاصدها الرفيعة — إلى بيان حقيقة القيامة والبعث وما يتبع ذلك من سعادة أو شقاء بعد — أيها القارئ — الحضيف — ذلك في ذكره تعالى بعد أن وضع بعض دلائل وحدانيته وقدرته ويقول : فإذا جاءت الطلائع السكبرى . يوم يندكر الإنسان ما صنعى (٢) الآيات .

الحقيقة التاسعة : إن الله تبارك وتعالى لطيف بعباده ورحم رحيم بهم حيث ما قلنا للحقائق السابقة في أسلوب سهل واضح ، ورغم سهولته إلا أنه يتضمن حقائق — ما أشرنا إلا إلى بعضها — في غاية التعقيد ، لكن الله جل جلاله يسر القرآن للذكر حتى يدركه كل الناس ولا يبقى لهم حجة على الله بعد هذا البيان . فظلماء يزل من السماء ويراه النامر ويطيرون به بهجة وسرورا ويدخل في الأرض والناس يعرفون ذلك ، ويعاود الخروج منها والناس

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٣

(٢) سورة النازعات الآيتان ٣٤ ، ٣٥ وما بعدها



يرون ذلك أيضا فالحقائق المذكورة بأسلوب سهل، وصدق الله العظيم، وثقت  
بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، (١).

الحقيقة العاشرة : إن المتدبر في كلام الله رب العالمين يدرك بالحق واليقين  
أن هذا وحى جاء به رسول الله سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، لما كان  
رسول الله ﷺ عالما بطبقات الأرض ولا قوانينها مع السماء في جوفها،  
ولا قوانين السماء في نزوله وخروجه منها - وكان ﷺ أمياً لا يقرأ  
ولا يكتب - لكن هذا كلام رب العالمين ودليل صدق نبوة ورسالة سيد  
المرسلين محمد بن عبد الله الأمي الأمين، ومن يدرك هذا يؤمن بالله رباً  
وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً ويسير في مشوار حياته  
وفق منهج الله وشريعته وسنة رسوله ﷺ.

محمد رحيمي أحمد فواز  
المدرس المساعد بالكلية  
للمعلمة

THE JOURNAL OF THE AMERICAN MEDICAL ASSOCIATION  
PUBLISHED WEEKLY  
CHICAGO, ILL., MAY 1, 1919  
Vol. 34, No. 18

THE JOURNAL OF THE AMERICAN MEDICAL ASSOCIATION  
PUBLISHED WEEKLY  
CHICAGO, ILL., MAY 1, 1919  
Vol. 34, No. 18

1

THE JOURNAL OF THE AMERICAN MEDICAL ASSOCIATION  
PUBLISHED WEEKLY  
CHICAGO, ILL., MAY 1, 1919  
Vol. 34, No. 18

2